عراقيون
من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

العدد (4262) السنة السادسة عشرة - الخميس (30) آب 2018
WWW. almadasupplements.com

آزادوهي صاموئيل

5-4

آزادوهي صاموئيل: أنا عاشقةٌ للمسرح وهذا العشق يكاد يدمّرني

آزادوهي صاموئيل رائدة المسرح العراقي

لطيف حسن

فوتحت آزادوهي صاموئيل للانتماء لفرقة المسرح الحديث من قبل أخت سامي عبد الحميد، وهي طالبة قد أكملت تواً المرحلة الابتدائية، وانتقلت الى الدراسة المتوسطة، أخبرت عائلتها بالموضوع، لم يبد الأب رأياً وأحال الموافقة الى إخوتها الثلاثة بحجة أنه أمّي ولايفهم في هذه الأمور ولا يريد أن يتحمل ماسيجري لها لاحقاً في سلوكها هذا الدرب الذي كان يدرك أنه صعب وغير مأمون على طفلة بسنّها، ويخشى من أنه قد يظلمها في حالتي الموافقة أو الرفض.

وافق إخوتها الثلاثة فوراً، بكون أن العمل في هذه الفرقة شرف، فأفراد عائلتها لم يكونوا بعيدين عن الشارع السيّاس، وكان إخوتها من المساهمين النشيطين في التظاهرات والاعتصامات التي لم تكن تنقطع في الفترة مابين (١٩٥٤-١٩٥٦) وتعرض منهم للاعتقال أكثر من مرة، وافقوا على عملها بالفرقة شرط أن يرافقها أحدهم عند ذهابها للتمارين وعودتها منها، وشجعوها على أساس هوية الفرقة السياسية التي ينسجمون معها ومعرفتهم الجيدة المسبقة بالفنانين الذين يعملون فيها، وكانوا يحترمون الفرقة ويعتبرون نشاطاتها محركا لم ينقطع لإثارة السخط على الإنكليز وعلى الأحلاف والعملاء.

وكان يرافق آزادوهي في التمارين أحد إخوتها، عادةً أخيها (هايك صاموئيل)، وكانت في بداياتها تتحدث بلغة عربية غير سليمة، تغلب على لهجتها اللكنة الأرمنية، كانت طفلة بمعنى الكلمة (١٢ سنة) ألبسوها ملابس الأم ووضعوا على رأسها عباءة وحملت بين يديها دمية ملفوفة، وأصبحت أمّاً على المسرح، هذا ما كانوا يحتاجونه منها. أن تكون أمّاً وليس طفلة.

مثّلت في الفترة مابين ١٩٥٤ – ١٩٥٨ مسرحية (إيراد ومصرف) على قاعة الكلية الطبية وفي أماكن أخرى و(حرمل وحبة سودة) و(ست دراهم) لنفس المؤلف يوسف العاني، ولنفس المخرج إبراهيم جلال، وكانت تحمل اسماً فنياً في الإعلانات (زاهدة سامي) استمر معها الى ما بعد تموز ١٩٥٨، حيث مثّلت تحت هذا الاسم أيضاً في مسرحيتي (أني أمك ياشاكر) و (اهلا بالحياة).

بعد أن أنهت الدراسة المتوسطة عام ١٩٥٨، وهي ما تزال تعمل في فرقة المسرح الحديث، كانت مواهبها الفنية وثقافتها المسرحية قد تبلورت الى حد كبير بالتمارين والمراس على يد إبراهيم جلال، ورعاية باقي أعضاء الفرقة لها، فدخلت معهد الفنون الجميلة – قسم المسرح – و الذي كان منذ تأسيسه في عام ١٩٤٥، ولغاية ذلك التاريخ ١٩٥٩، معهداً يدرس فيه الذكور فقط، ولم تجرؤ أو حتى تفكر أي فتاة الإقدام على الدراسة فيه قبل آزادوهي.

فتحت آزادوهي للأخريات –بدخولها الشجاع كأوّل فتاة الى معهد الفنون الجميلة قسم الفنون المسرحية– الآفاق الواسعة أمام من انخرط بعدها لاحقاً لدراسة هذا الفن، فتدفقن ببطء على المعهد في السنة الثانية من دراستها، كانت هناء عبد القادر، ثم جاءت من بعدها سمية داود، وبعد سنتين كان من طلاب المعهد فوزية الشندي، رؤيا رؤوف، ساهرة أحمد، شويو محمد، منيرة عباس، وبلقيس الكرخي، وهكذا تقدمن الى المعهد في السنين التالية وبدون حرج، شيماء، غزوة الخالدي، سعاد عبدالله، أحلام عرب، ونضال عبد الكريم.. إلخ.

الأسماء كثيرة الآن في الوسط المسرحي من الفنانات خريجات المعهد أو الاكاديمية يمارسن النشاط المسرحي في مختلف المجالات، قسم منهن يحملن الدكتوراه في تخصصات مسرحية مختلفة، ومدّرسات في المعهد وكلية الفنون.

وقسم كبير آخر منهن أيضاً، ضعن واختفين في المحافظات، اشتغلن كمعلمات بعيداً عن المسرح ونشاطاته، أو تركن الفن المسرحي بعد الزواج.

تعلمت آزادوهي الكثير في المعهد، بما يساعدها في أن تتخلص من الخجل والتوجس وتمتلك شخصية متحدية، وجرأة اجتماعية، من هذه التمارين الطريفة وغير المألوفة في العادات العراقية آنذاك، والتي كان يطلبها منها أستاذها بهنام ميخائيل، أن تتوقف مثلاً عند ماسح أحذية في الشارع وتطلب منه أن يمسح لها الغبار عن حذائها الذي تحتذيه.

بعد أن تخرجت من المعهد عام ١٩٦٢، عيّنت معلمة في بغداد، ثم سرعان ما اعتقلت وطردت من التعليم بعد انقلاب ١٩٦٣، واضطرت خلال الفترة من ١٩٦٣ وحتى ١٩٦٥ للعمل كحلاقة في صالون نسائي لسد الرمق.

بعد أن أعيدت لفرقة المسرح الفني الحديث أجازتها في عام ١٩٦٥، وجرى لم شمل الأعضاء القدامى إليها اشتركت بنشاط في كل الأعمال المسرحية التي قدمتها في تلك الفترة (فوانيس)، (صورة جديدة)، (مسألة شرف)، (المفتاح)، (النخلة والجيران)، و(الخرابة).

كانت تعمل في صالون الحلاقة بشكل متواصل من الساعة التاسعة صباحاً الى الساعة السابعة مساءً، ثم تتمرن من الساعة السابعة وحتى الساعة العاشرة في مقر الفرقة، دون أن تأخذ أجوراً على عملها المسرحي، كباقي أعضاء الفرقة في ذلك الزمان.

أعيدت الى الخدمة في عام ١٩٦٨ عندما شملها قرار بإعادة جميع المفصولين لأسباب سياسية، الى وظائفهم، وعيّنت معلمة، ولكن هذه المرة في مدينة بعيدة هي الرمادي، مركز محافظة الأنبار، والرمادي تبعد عن بغداد غرباً بـ ٢٠٠ كيلومتر، فتضطر أن تستيقظ في وقت مبكر وتذهب لتقطع يومياً مسافة ساعتين في الباص ذهاباً لتلتحق بعملها في الوقت المناسب، ثم تقطع نفس المسافة بعد انتهاء الدوام الرسمي في طريق العودة الى بغداد، لتذهب بعدها مسرعة الى مقر المسرح الفني الحديث لتتدرب على مسرحيات تعد للعرض. ثم تصل في نهاية مطافها اليومي الى البيت وهي منهكة في ما يقارب منتصف الليل.

بقيت على هذا الحال اكثر من ثلاث سنوات، اتعبها التنقل اليومي بين مدينتين، فاضطرت للسكن والاستقرار في الرمادي والتفرغ لعملها الوظيفي فقط، يأساً من أي حل قريب لمشكلتها.

لكنها لم تقف ساكنة في انقطاعها عن العاصمة وأجوائها المسرحية، شكلت هناك للتنفيس عن طاقاتها الفنية فرقة مسرحية محلية من خريجي معهد الفنون الجميلة من أبناء المدينة، وبعد عشر سنوات من الشقاء في الرمادي والإبعاد المتعمد عن بغداد والانقطاع عن مسارحها، انتهت عذاباتها في عام ١٩٧٧ بنقل خدماتها الى الفرقة القومية الحكومية، وعادت الى النشاط المسرحي في أعمال مهمة للفرقة القومية، وواصلت إبداعها دون انقطاع.

من أهم الأعمال التي أدتها آزادوهي في معهد الفنون الجميلة، (المثري النبيل) لموليير اخراج جعفر علي، و(عطيل) لشكسبير، إخراج جاسم العبودي و(أوديب ملكاً) لسوفوكليس، إخراج جعفر السعدي. و(فيما وراء الأفق) لاونيل، إخراج بهنام ميخائيل.

وفي فرقة المسرح الحديث من عام ١٩٥٤ وحتى تموز ١٩٦٨ مثلت تقريباً في كل مسرحيات العاني، الأولى ذات الفصل الواحد، وبعدها واصلت في الفرقة وشاركت في (أني أمك ياشاكر) و(أهلا بالحياة) و(فوانيس) و(مسألة شرف) و(صورة جديدة) و(المفتاح) و(تموز يقرع الناقوس) و(النخلة والجيران).

وفي الفرقة القومية (جزيرة إفروديت) و (ابن ماجد) و(لغة الأمهات) و(الروح الطيبة) و (ثورة الموتى) و(محطات السنين) و (المزيفون) و(العاصفة)... وغيرها.

عملت منذ أن اعتلت خشبة المسرح مع أبرز المخرجين في العراق بدءاً بإبراهيم جلال ثم سامي عبد الحميد وعبد الواحد طه وبهنام ميخائيل وجعفر السعدي وجعفر علي وبدري حسون فريد وسعدون العبيدي ومحسن العزاوي وقاسم محمد وآخرين.

تعتبر آزادوهي من أكثر الممثلات العراقيات نشاطاً وغزارة ومشاركة بمسرحيات مهمة في تاريخ المسرح العراقي، وقد حصلت خلال عمرها الفني في المسرح الذي قارب الخمسين عاماً، على جوائز فنية وتكريمية وتقديرية عديدة، في العراق ومن مهرجانات مسرحية عربية عديدة شاركت فيها.

آزادوهي صاموئيل: لن أنسى تأريخ وقوفي على المسرح لأول مرّة

ازادوهي صاموئيل فنانة كبيرة كانت أول فتاة تدخل معهد الفنون الجميلة في الخمسينيات، من أشهر أعمالها المسرحية التي بقيت في الذاكرة دورها في"النخلة والجيران"في دور (تماضر) ولا ينسى جمهور المسرح دورها المتميز في مسرحية"المومياء"وأعمال مسرحية كثيرة شكّلت ذاكرة المسرح العراقي، إضافة الى عشرات من الأعمال التلفزيونية.

«أخيرة المدى"سألتها إثني عشر سؤالاً مفادها:

× من انت في جملة قصيرة؟

أنا فنانة المسرح التي لا تجد في الحياة غير خشبة مسرح بغداد

× هل لديك موهبة لم تكتشف؟

في عمري الآن صعب الحديث عن المواهب، ولكن كنت أحب كتابة القصة والشعر وهي هواية فقط.

× نقاط القوة والضعف لديك؟

نقاط القوة حين أقدم عملاً فنياً يفرح المشاهد، والضعف حين لا استطيع النهوض من الفراش.

× ما هو الشيء الذي تتفائلين به؟

الشيء الذي اتفاءل به رؤية ابتسامة طفل فهي تسعدني اليوم كله.

× تصرف يزعجك؟

الإنسان الذي يعبث بممتلكات بلده

×موقف محرج أو طريف لا تنسينه؟

مواقف كثيرة وخصوصاً على خشبة المسرح، واعذروا الذاكرة التي تاهت منها أشياء كثيرة.

× متى تعتذرين؟

اعتذر نيابة عن أي إنسان يخطئ بدون قصد، الاعتذار ثقافة مهمة علينا أن نتعلمها كل يوم.

× اغنيتك المفضلة؟

كل اغنيات فيروز ومعها اغنية مائدة نزهت صدفة ياهوانا

× أمنية لم تحققيها؟

كثيرة لا استطيع عدّها

× آخر كتاب قرأته؟

أعيد قراءة بعض المسرحيات وخصوصاً أعمال تشيخوف

× افضل اختراع بالنسبة لك؟

هذا الجهاز الصغير وتشير الى الموبايل الذي قرب المسافات بين الجميع.. لكني اعتبر المسرح أفضل اختراع بشري

× تاريخ لا يمكنك نسيانه؟

دخولي معهد الفنون الجميلة

× نفسك الداخلية تشبه ماذا من الطبيعة؟

تشبه نسمات الهواء الخفيفة.

هذا الحوار سبق ان نشر في أخيرة المدى

آزادوهي صاموئيل: أنا عاشقةٌ للمسرح وهذا العشق يكاد يدمّرني

يسمّونها راهبة المسرح أو القديسة أو العاشقة، وممن أطلقوا عليها هذا اللقب الفنان الكبير يوسف العاني والدكتور صلاح القصب والدكتور فاضل خليل، ذلك لأنها تعتبر المسرح مكاناً مقدساً نشأ في المعابد والكنائس وفي الكثير من الطقوس الدينية الأخرى، شغفت بالمسرح منذ أكثر من خمسة وأربعين عاماً، ومازال هذا الحب عامراً في قلبها، ذلك القلب النابض بحب العراق. لقد واجهت صعوبات كثيرة ومريرة في زمن صعب، لكنها تجاوزتها بإصرار وعناد وجهادية، لتقول كلمتها أنا خلقت للمسرح، هذه الفنانة الكبيرة ماهي إلّا آزادوهي صاموئيل راهبة المسرح العراقي بحق :

حاورها / علاء الماجد

× كيف تعمل الفنانة آزادوهي صاموئيل على الدور الذي تؤديه، ومع من تفضّل العمل؟

– أعمل على الدور أو الشخصية التي أؤديها على ثلاثة محاور، المحور الأول هو ماضي الشخصية التي أستقيها من النص، والمحور الثاني هو حاضر الشخصية التي سأجسّدها أنا وأضيف إليها من تجربتي وقراءاتي ورغبتي في تقديم الشخصية كما أتصورها أنا، أما المحور الثالث، فهو مستقبل الشخصية، وهذا ما أركز عليه كثيراً، وأعني كيف سأودعها في أذهان الناس لتعيش في ذاكرتهم بعد أن تسدل الستارة، إن هذا الأمر يقلقني منذ بداية التمارين، وهنا يجب أن أعمل في دائرة الإبهار والتوهج الدائم خلال العرض، يقول أستاذي الراحل إبراهيم جلال "الممثل كلما تغرب عن نفسه كلما اقترب من الشخصية التي يمثلها" وتطبيق هذه المقولة ليس سهلاً، خاصة لممثلة مثلي أحاول أن أقدم شخصية جديدة وأسلوباً جديداً في كل عمل مسرحي أشارك فيه، أما مع من أفضّل العمل، فأنا عملت مع الجميع، لكنني أفضّل أن يكون العمل مهماً، مثلاً ماقدمه لي الأستاذ قاسم محمد، أو السيدة عواطف نعيم، أو المؤلف عادل كاظم، وأحياناً أشعر بحاجة ماسة للعمل مع الدكتور صلاح القصب، وإذا به يقدم لي مسرحية "العاصفة" لشكسبير أو "حفلة الماس" ضمن منهج مسرح الصورة

وقوف المرأة على خشبة المسرح في ظل الأعراف والتقاليد الاجتماعية السائدة آنذاك ينطوي على كثير من التضحية

(هل أستطيع أن أرفض).

×بداية الفنانة آزادوهي كانت صعبة وفيها شيء من المعاناة، هل تخبرينا عن هذه البداية ولو بشيء من الإيجاز؟

– أنا نشأت في بيت بسيط وكبير، كنا نملكه، لكننا لم نكن نملك المزاد الذي يكفينا، وكان زاد البيت الأهم هو الحديث في السياسة وهموم الناس، حيث كانوا إخوتي ينقلون مشاهداتهم ومشاركاتهم في التظاهرات والانتفاضات الى البيت، وأنا في مرحلة الدراسة الابتدائية، فعرفت الكثير من الظلم والواقع المرير الذي كان يعيشه الشعب العراقي، الفقر والمرض والجهل، كان وراء كل ذلك الاستعمار، في العهد الملكي، كان أخي يوزّع المنشورات ليلاً على دراجته، ويكتب على الجدران (يسقط الاستعمار)، وإبان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وجدت نفسي بين الناس وأنا في مرحلة الدراسة المتوسطة، اتلقى القنابل المسيّلة للدموع، ومن حينها كبر الوعي الوطني بداخلي، وربطت مصيري بمصير هذا الشعب في توقه للحرية والتغيير، لذلك استجبت لرغبة شقيقة الفنان سامي عبد الحميد، للانضمام الى فرقة المسرح الحديث، وكانت هذه الفرقة تقدم أعمالاً مسرحية شعبية تنتقد النظام آنذاك، وتنبّه الناس الى عمق وأسباب المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، ومثلت في مسرحية (ست دراهم) تأليف يوسف العاني، وإخراج إبراهيم جلال، مسكت دمية ملفوفة بالأقمشة وأرتديت عباءة وأصبحت أمّاً، وأنا لم أزل صبية، بهذا الدور البسيط دخلت الى عالم مسحور اسمه المسرح.

×بدايتك مع فرقة المسرح الحديث هل تُعد العامل المهم في انطلاقتك؟

– لقد كنت محظوظة لأن بدايتي كانت مع مجموعة من فناني ومثقفي العراق، عاملوني بكل احترام كإنسانة، رغم أنهم لم يجدوا في الممثلة التي ينشدونها، لأن لغتي لم تكن سليمة وقتذاك وكذلك نطقي، ولكن بحبهم وتشجيعهم، ساعدوني على اجتياز هذه المحنة، لقد كانوا بحق أساتذتي قبل دخولي إلى معهد الفنون الجميلة.

×هل كانت الأعراف والتقاليد الاجتماعية تعيق عمل المرأة بشكل عام، وعملها في مجال الفن بشكل خاص؟

– كان وقوف المرأة على خشبة المسرح في ظل الأعراف والتقاليد الاجتماعية السائدة، ينطوي على كثير من التضحية، بخاصة الفنانات اللواتي سبقننا في العمل المسرحي، فكن يتركن العمل بعد تجربة أو تجربتين، خوفاً من المجتمع الذي كان يساوي بين عمل الممثلة والتي تعمل في الأندية الليلية، وبناءً على هذه النظرة كان يقع على عاتق الممثلة محاربة هذه النظرة، من خلال تقديم صورة الممثلة الواعية المدركة لمسؤولياتها تجاه وطنها، وتأسيس تقاليد فنية راقية لبناء علاقة محترمة بين جمهور المسرح والفنان، ومن خلال ذلك أنتمت الى فرقة المسرح الفني الحديث مجموعة طيبة من الفنانات الرائدات، كذلك ساهمت ثورة ١٤ تموز في فتح آفاق واسعة أمام الجماهير ولتضع المرأة أمام مهام جديدة في أن تحتل مكانتها، وبالتالي تغيير نظرة المجتمع للمرأة الممثلة، قدمنا في تلك الفترة مسرحيات (أني أمك يا شاكر) و(أهلاً بالحياة) و(حرمل وحبة سودة).

×الفترة التي أعقبت العام ١٩٦٥، شهدت نهوضاً مسرحياً واسعاً وظهور أسماء نسوية تألقت في الكثير من الأعمال المسرحية، ما الذي تحتفظ به ذاكرتك عن هذه الفترة؟

– في عام ١٩٦٥ أجيزت فرقة المسرح الحديث باسم فرقة المسرح الفني الحديث، فعملت معهم مسرحيات (الفوانيس) و(مسألة شرف) و(صورة جديدة) و(المفتاح)، وفي عام ١٩٦٨، كنا نتمرن على مسرحية (تموز يقرع الأجراس)، وفي نفس الوقت، صدر أمر بعودة المفصولين الى وظائفهم، فالتحقت بوظيفتي كمشرفة للنشاط المدرسي في مدينة الرمادي، وهنا بدأت معاناتي، حيث كنت اقطع مسافة ٤٠٠ كم بين وظيفتي وبين تواصلي مع التمارين في بغداد، وعادت معاناتي مجدداً مع مسرحية (النخلة والجيران) بعد أن طلبت مني إدارة الفرقة الالتحاق بالعمل كبديلة للفنانة أنوار عبد الوهاب، وسجلت هذه المسرحية بأدائي، فكانت بحق تجربة كبيرة لي وللمسرح العراقي، وكانت من إعداد وإخراج قاسم محمد، عن رواية بنفس الاسم للكاتب الكبير غائب طعمة فرمان، وفي عام ١٩٧٠ قدمت (الخرابة) كبديلة عن الفنانة الراحلة زينب، وهي من تأليف يوسف العاني، وإخراج سامي عبد الحميد، بعد ذلك تعبت من هذه (الهرولة) بين بغداد والرمادي، فآثرت أن أبقى هناك، ولكن كيف لي أن أجلس خاملة بعيدة عن المسرح، لذلك شكلنا فرقة مسرحية من المعلمين المتخرجين من معهد الفنون الجميلة، وعملنا بإمكانات بسيطة لكنها كبيرة. ومن الأعمال التي قدمناها في تلك الفترة (أشجار الطاعون) لنور الدين فارس و(حين اسقطنا طائر الوهم) لقاسم محمد، و(مساء التأمل) و(محاكمة الرجل الذي لم يحارب) و(أدابا) و(عشاق الخيال) وغيرها، لقد قدمنا كل هذه الأعمال في مدينة لم تشهد أي عرض مسرحي سابقاً.

× انتقلت للعمل في الفرقة القومية للتمثيل بعد تأسيسها، كيف كانت هذه التجربة؟

– عام ١٩٧٧ قدمت طلباً للانتماء الى الفرقة القومية بعد أن ضاقت بي السبل للرجوع الى أهلي ومدينتي، تم قبول طلبي ونقلت خدماتي من وزارة التربية الى وزارة الإعلام، وبهذا انتهت عشر سنوات من الشقاء والعناء لأعود الى احضان مدينتي بغداد ومسارحها، وبدأت رحلة جديدة مع الفرقة القومية، حيث اشتركت بحوالي ثلاثين عملاً مسرحياً، أذكر منها (المزيفون) و(كان ياما كان) و(حرم صاحب المعالي).

×ماذا عن المهرجانات التي اشتركت بها؟

– في أول مهرجان للمسرح العربي في بغداد بعد القصف الأميركي، اشتركت بثلاث مسرحيات مختلفة المناهج والرؤى، الأولى من منهج مسرح الصورة، والثانية من الأدب العالمي، والثالثة مسرحية شعبية عراقية، وفيها أغني وأرقص حافية القدمين، التمرين كان مضنياً، من التاسعة صباحاً الى التاسعة مساءً، متنقلة بين قاعات التمارين، كنت في عملي في هذه المسرحيات اتحدى الحصار واتحدى نفسي مفجرة كل الإمكانات في داخلي كي أسخرها وأضعها في محك المواصلة للرسالة الفنية كي تؤدي دورها بفعالية معبّرة عن همّنا وما أصابنا من جرم. حصلت على جائزة الإبداع الكبرى عام ١٩٩٥ عن دور الأم في مسرحية (المومياء)، حصلنا على جائزة مهرجان بترا المسرحي التكريمية في الأردن.

× هل من كلمة أخيرة نختم بها هذا الحوار مع قديسة المسرح العراقي؟

– أقول لقد عملنا بجهادية عالية وكنا قدوة لكل الممثلات اللواتي أتين بعدنا، فكانت سهير أياد وشذى سالم وليلى محمد اللواتي حصدن جوائز مهمة في المهرجانات في زمن صعب، على الأجيال اللاحقة أن تعي أهمية المسرح في التوعية والتنوير.

آزادوهي صاموئيل في حضرة الشعر

عدنان يوسف

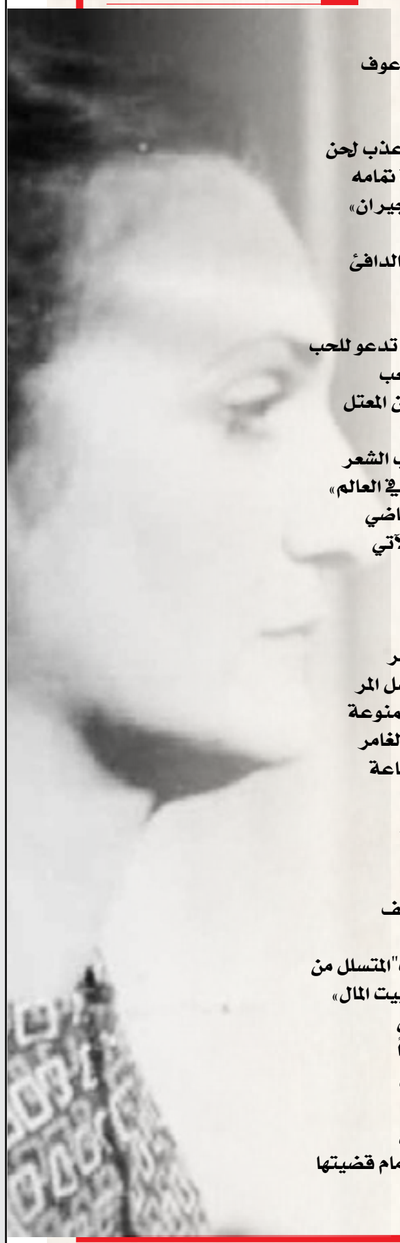

كأنني أرى خال عوف
(الصادح الغرد)
وهو ابن سبعين
ينشد لفراتيه أعذب لحن
فأرى البدر ليلة تمامه
أرى "النخلة والجيران»
وزهرة الشمس
تنشر في الحقل الدافئ
عطراً
ترقص طرباً
تحمل منشورات تدعو للحب
تدخل بيت الشعب
تزيل غبار الزمن المعتل
عن الإكليل
تتعمد في محراب الشعر
مع "أسعد إنسان في العالم»
نجمة موسمنا الماضي
نجمة موسمنا الآتي
أحيت في القلب
العشق السري
المسهد
بين كؤوس الصبر
بين قوارير العسل المر
وأسرار الكتب الممنوعة
أي دموع للفرح الغامر
تسكب هذي الساعة
في صالة
يقرأ فيها الشعر
ويبتهج المسرح
بامرأة
شهدت ليل العسف
وليل الوهم
وظلام "الاعراب" المتسلل من
بئر الجهل الى "بيت المال»
وما أدركها اليأس
ظل الحلم لذيذاً
ينبّئ بغد أجمل
بسماء تضحك
يتوسطها قمران
ينيران الدرب أمام قضيتها
الكبرى...

لا يخلو المسرح العراقي من الممثلين العالميين، ولا اقصد أنه استقطب ممثلين من المسرح العالمي، وإنما صنع ممثلين عالميين بأعمال عالمية وعراقية، وآزادوهي صاموئيل واحدة من الممثلات العالميات في المسرح العراقي، لأنها أول امرأة عراقية تقف على المسرح العراقي وهي مازالت طالبة في المدرسة، وأول طالبة في قسم المسرح في معهد الفنون الجميلة.

وداد إبراهيم

آزادوهي صاموئيل أول إمرأة درست واعتلت المسرح العراقي

سارت في طريق الفن برحلة تصل الى ٥٢ عاماً، فكانت رائدة مبدعة عاشقة راهبة متفانية خلّاقة مؤثرة وفاعلة ومتواصلة، سمّيت قديسة المسرح بعد أن حصدت جوائز وشهادات وأسماءً وألقابا، تُعد من الرعيل المسرحي الأول وهي الأكثر ثراءً والأخطر أسلوباً وأكثر المسرحيين شهرة، تكتنز ثقافة مسرحية وتأريخية واسعة وواعية.

ومن جراء ذلك كثيراً ما قامت بتصميم مظهر الشخصية التي تمثلها وهي تختلف عن أبناء جيلها الفنانات، بأنها متمكنة بصورة دقيقة من الدور، وهذه الميزة لا تكتسب إلا بالثقافة المسرحية والمقارنة والمجاهدة بين الأدوار والنصوص التي تقرأها، ومع هذا كله، يجب أن نعدها من الجيل المسرحي الأول في العراق جيل الخمسينيات الذي اتخذ صفاته من صفات النهر العميق، ومثلما نذكر في المسرح يوسف العاني، فإن ازادوهي ابنة المسرح العراقي ولم تغادر ولم تهاجر، بل بقيت مع الخشبة مخلصة لها وللفن العراقي.

ولدت ازادوهي في منطقة رأس القرية في شارع الرشيد عام ١٩٤١ من عائلة أرمنية جاءت مهاجرة من تركيا في العشرينيات من القرن الماضي، عاشت في عائلة فقيرة، حرص والدها على تعليم أبنائه، فأدخلهم مدارس نموذجية، فدرست الابتدائية في مدرسة الأرمن الغربية.

وفي المرحلة المتوسطة انتقلت عائلتها الى منطقة راغبة خاتون، فأكملت دراستها في مدرسة الاعظمية، كانت الاكثر اجتهاداً في الحفظ ما ساعدها في تجسيد مسرحية"تاجر البندقية" وباللغة الانكليزية على مسرح المدرسة، فأثارت اعجاب كل من تابع المسرح بما فيهم صديقتها شقيقة الفنان سامي عبد الحميد فعرضت عليها العمل في المسرح.

لم تكن ماقالته صديقتها مجرد اقتراح، بل صار حقيقة لتذهب ازادوهي للتعرف على يوسف العاني لتمثل معه مسرحية (٦ دراهم) ضمن فرقة المسرح الفني الحديث عام ١٩٥٦، شاركها التمثيل عبد الرحمن بهجت، لتعرض على مسرح الملك فيصل (مسرح الشعب) حالياً. شهد هذا العام وهذا المسرح ولادة أول ممثلة عراقية وكان العمل الذي كتبه يوسف العاني من الأعمال التي كانت اللبنة الأولى لمسرح عراقي جاد.

بعد هذا العمل شاركت ازادوهي في مسرحية (حرمل وحبة سودة) مع ليلى عثمان عام ١٩٥٩، وهي في الصف الثالث المتوسط، وقدمت هذه المسرحية على مسرح الكلية الطبية الملكية، في هذا الوقت كان الفن السينمائي يزخر بوجوه جديدة، إلا أن هذه الوجوه انشغلت عن المسرح ماجعل ازادوهي تنفرد في الفن المسرحي.

خلال ثلاث سنوات من عام ١٩٥٦-١٩٥٩ بقيت فنانتنا الوحيدة التي تقدم أعمالاً على المسرح، حتى جاءت للمسرح الفنانة زينب لتشاركها أعمالها المسرحية.

تخرجت ازادوهي من معهد الفنون الجميلة لتعمل في النشاط المدرسي عام ١٩٦٣، إلا أنها فُصلت من العمل لأسباب سياسية لتنتقل للعمل في مهنة الحلاقة، لكن المسرح بقي ملازماً لها وعدّت العمل المسرحي أساساً لحياتها، فقدمت مسرحية"فوانيس"عام ١٩٦٤، ومسرحية"نسيمة"عام ١٩٦٥، ومسرحيات أخرى.

أعيدت للعمل في النشاط المدرسي عام ١٩٦٨، لتبدأ رحلتها مع المسرح المدرسي وفي مدن ومسارح المحافظات، ومن خلال النشاط المدرسي، فعملت في مدينة الرمادي، ووقفت على المسرح في ما يقارب خمسة أعمال حين كان النشاط المدرسي يحتضن أعمالاً مسرحية لخريجي معهد الفنون الجميلة في الرمادي.

عادت الى بغداد حين كانت الفرقة القومية للتمثيل في بداية تكوينها، فانتقلت إليها كممثلة مسرحية عام ١٩٧٧، وقدمت أعمالاً مع كبار المسرحيين من مخرجين وممثلين وصنّاع المسرح العراقي وكتّابه، مثل محيي الدين زنكنة وعادل كاظم، فوقفت في مايقارب أكثر من ٥٠ عملاً مسرحياً مع كبار المخرجين مثل جاسم العبودي وجعفر السعدي وسامي عبد الحميد وصلاح القصب.

في التسعينيات قدمت أعمالاً مع مسرحيين شباب مثل كاظم النصار وغانم حميد وأحمد حسن موسى وآخرين.

حصلت الفنانة على اكبر الشهادات في المسرح العراقي من خلال المهرجانات في الدول العربية، آخر أعمالها مسرحية (نساء في الحرب) مع المخرج كاظم نصار، وشاركت هذه المسرحية في أسبوع المدى الثقافي عام ٢٠٠٦، وآخر عمل تلفزيوني لها مسلسل (أولاد الحاج) تأليف قحطان زغير، إخراج جمال عبد جاسم، قدّم من الفضائيات العراقية عام ٢٠٠٥، في عام ٢٠٠٨ قدمت مشهد احتفاء بالفنان يوسف العاني على خشبة المسرح الوطني.

هذه المبدعة تعرضت لوعكة صحة فشغلت الأوساط الفنية، ندعو لها بالصحة والعافية، وعلى المؤسسات الفنية والثقافية والنسوية أن ترعى هذه الفنانة كونها رافداً فنياً عظيماً صنعت شخصيات وأسّست لمسرح المرأة وعملت بجهد واجتهاد وتفانٍ كبير للمسرح العراقي لتكن إحدى رموز المسرح العراقي الكبير، فعملت كامرأة وإنسانة ومثقفة لتضع لها بصمة مهمة في تاريخ وسفر المسرح العراقي. تحية حب واعتزاز وإكبار لك ازادوهي راهبة المسرح العراقي.

العدد (4262)
السنة السادسة عشرة - الخميس
(30) آب 2018

آزادوهي صاموئيل: ليلة حاصرتني الكلاب تحت المطر

عبد الجبار خلف

حين سألت الفنانة القديرة، صاحبة لقب (راهبة المسرح) آزادوهي صاموئيل، عن يوم من أيام عمرها لا يمكن أن تنساه أبداً؟ سرعان ما أغمضت عينيها، وبعد لحظات راحت تتأمل الأفق البعيد، ثم غطت وجهها سحابة داكنة أحسّت أنها ملبّدة بحزن سيمطر بعد قليل، لكنها قالت: سأحكي لك تفاصيل موقف جرى لي في يوم لن أنساه ما حييت.

وبدأت تحكي لي: هو يوم شتائي من أيام شهر كانون الثاني عام ١٩٨٩، لقد كنت في تلك الأيام مشغولة جداً، كنت أدرّس في الصباح درس الثقافة الأجنبية ومن ثم أذهب لأمثل في مسرحية للأطفال عنوانها (مملكة النحل) في مسرح الرشيد في الساعة العاشرة وعشر دقائق صباحاً، وتنتهي المسرحية في الساعة الواحدة ظهراً، فأذهب لأتمرن مع المخرج الكبير الراحل قاسم محمد "رحمه الله" في عمل لمناسبة عيد الفن في المسرح الوطني، ثم لأعود ثانية إلى مسرح الرشيد لأتمرن على مسرحية (جسر أرتا) إخراج بدري حسون فريد، وتمثيل ابتسام فريد وسامي عبد الحميد.

تضيف الفنانة الكبيرة: في ذلك اليوم الكانوني البارد، خرجت من مسرح الرشيد في حدود الساعة الثامنة مساء، كان الظلام دامساً والمطر شديداً، وأنا خارج بناية المسرح؛ كنت لا أدري كيف سأصل إلى البيت، لم يكن في المكان سوى كلاب أسمع نباحها قريباً، في تلك الأجواء السيئة، نظرت وأنا أرتجف من الخوف، وتساءلت مع نفسي: ماذا سأفعل؟ لم تكن هناك سيارة نقل، وحتى إن طلبت أن يوصلني أحد، فعليّ أن أنتظر أحد السواق العاملين في الدائرة، ثم لابدّ أولاً أن يرضى أن يوصلني، ولا بدّ للمدير أن يوقع على ورقة الخروج، وقد وجدت أن كرامتي لا تسمح لي أن أتوسل من أجل سيارة.

وتابعت: كان لابدّ أن أستأجر (تاكسي) ولكن أين هي السيارة في هذا الجو الممطر والبرد القارس، انتظرت أن تمر سيارة، ولكنها لم تمرّ، تقدمت خطوات، سمعت نباح كلاب وكأنها تقترب مني، توقفت وأنا أرتعد خوفاً، تأملتُ كثيراً على ما أنا فيه من وضع، قلتُ في نفسي: هل أستحق كلّ هذا الأذى؟ بعد كل هذا الجهد الذي أبذله طوال اليوم تكون نهايته هكذا؟ هل أستحق أن أتعذب كلّ هذا العذاب؟

عدت أدراجي إلى الخلف وأنا أقول: من يفكر بإيصالي إلى البيت وقد تجاوزت الساعة التاسعة مساءً في هذا الجو الشتائي؟ عدتُ وأنا أبكي بصمت، وبالمصادفة خرج أحد المقلين وشعر بي أبكي فذهب وأخبر الفنان قاسم الملاك الذي جاءني وسألني: ما بك؟ فقلتُ: تأملتُ على حالي، فأخذني الى مكان السوّاق وهناك انتظرت ساعة إلى أن جاءت السيارة ونقلتني إلى البيت.

وأغمضتْ الكبيرة آزادوهي عينيها للحظات كأنها تمنع قطرات الدمع أن تتسرب خارجاً، لكنها قالت: ذلك اليوم لن أنساه ما حييت!

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق
الاخراج الفني: خالد خضير
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
WWW. almadasupplements.com

آزادوهي.. أووووف شوكت راح نرتاح؟

في الوقت الذي سمعت بخبر مرض الفنانة الكبيرة آزادوهي صاموئيل، طافت بذاكـرتي صورتها وهي تقف على خشـبة مـسرح قاعة المسرح القومـي في كرادة مريم عام ١٩٦٩ لتقول لفاضل خليل:"حسـين.. أوف اشـوكت راح نرتـاح، ونعيش بيـت نظيف كله ضـوة وعصافير»، حياة هانئـة كانت تتمناها (تماضر) بطلة"النخلـة والجيران"وهي نفس الحياة التـي تمنتها الفتاة المسـيحية التي اقتحمت معهد الفنـون الجميلة في الخمسينيات لتسجّل نفسها أول طالبة تدرس فن التمثيل في العراق.

علي حسين

لم تكـن الفتاة الجميلة تحلم أنهـا ستجلس مع إبراهيـم جلال وتمثـل على خشبـة واحدة مع يوسـف العاني، وتتحـدث مع زينـب، وتسمع حكايـات "الخال" خليـل شوقـي كانـت آنذاك، تملـك حلماً كبيراً لصياغـة صورة لعراق جديد شعـاره المستقبل وغايتـه إسعـاد الناس وبث الفـرح في نفوسهم، جـاءت آزادوهي من عائلة مسيحيـة فقـيرة، نقلـت فقـر حالهـا ووعيهـا ووطنيـة عائلتها وعذابات المـرأة العراقية إلى كل أعمالهـا الفنية، فهي مـن جيل مأخوذ بحب المعرفـة، وبالإصـرار علـى أن ينشغلوا بهموم الناس البسطاء.

تنتمـي آزادوهـي إلى طائفـة مـن الممثـلاث الأثـيرات علـى قلـب المشاهـد.. ممثلـة تتمتع بعفوية لها طعـم خاص يترك أثراً في النفس.. حـين تشاهدهـا تشعـر وكأنك التقيـت بإنسان قريب إليـك تعرفه منذ زمن طويـل.. فعند هذه الفنانة قدرة عجيبة على تشرب الحياة اليومية وحيـاة الشخصيـة التي تمثلهـا والحيـاة الكامنة خلف هـذه الثقافة، وعندما تقـف علـى خشبة المسـرح أو خلـف الكاميـرا، يكون عقلهـا وقلبها وأعصابهـا جـزءاً مـن الأداء، فتعطـي كل مـا عندها وعندما تبدع في أداء الشخصية لم تكن تتوارى خلفها وإنما تقف بالند منها..

كتـب ستانسلافسكي مرة : "إن علـى الممثل أن يكون مخرجاً لـدوره وهو لم يقصد بالطبع أن يضـع الممثل مكان المخرج، بل أراد التحدث عن أهمية المبادرة عند الممثل وعن رؤيته الواسعة ودرجـة مهارتـه»، وهكـذا سعـت آزادوهـي صاموئيـل ابنـة مدرسـة فرقـة الفـن الحديث في معظـم أدوارها، ذكية تعـرف ما تفعل. إنها لا تـؤدي الـدور فحسـب، بـل تقـوم بتفسيره والتعبـير عـن وجهـة نظرهـا تجـاه الأشيـاء والشخصيـة التـي تؤديها ويمكنـك مشاهدتها منفـرداً وحدهـا، فتستمتـع وكأنـك تشاهـد مسرحيـة بطلتهـا ممثلة واحـدة، ولكن بنفس الوقـت، تراهـا تخضـع بحكمة وهـدوء للعمل المسرحـي الكلّـي.. في المسـرح والتلفزيـون تتصـرف مع خليـل شوقي كأنهـا شخصية من شخصيات الحياة اليوميـة التي نشاهدها في الأسواق أو نلتقي بها في الباص، وبابتسامتها المحبّبـة إلى النفـس تخطـف قلـوب وأبصـار المتفرجـين. وقد اعتقدت آزادوهـي صاموئيل، أن الممثـل يجـب أن تتاح له طـرق الخروج من القوالـب التمثيليـة الجاهـزة وهـو يـدرك أن الممثل: "يجب أن ينظر إلى الحقيقة في السلوك الواقعي" ووفقـاً لتعاليـم ستانسلافسكي التي درستهـا آزادوهي صاموئيل، سـواء في معهد الفنـون الجميلة أو من قبـل أساتذتها في فرقة المسرح الفني الحديث، إبراهيم جلال ويوسف العـاني وقاسم محمد وسامي عبد الحميد، فإن العناصـر السحرية للتمثيل يجب أن تجمع بين موهبة الممثل وقدرته على التخيل.

لعلنا نتساءل، أين يكمـن سر وسحر آزادوهي صاموئيـل الممثلة، إن كل لمحة مـن إبداعها من الممكـن أن تقدّم لنـا مفتاحاً وتكشف لنـا لغزاً، فهـي بحساب السنـين والأعمال التـي قدمتها، كانت شاهد إثبات على البداية الحقيقية لتاريخ فن المسرح في العراق، وهو في حساب الأرقام الفنية، صاحبة رصيـد من الأعمال السينمائية والتلفزيونيـة والمسرحيـة. ولكـن من قـال إن الفن بالحساب والعدد فقط.. إن هذا يمثل بعداً واحـداً للصورة ويبقى الأهـم والأقوى تأثيراً من الحجـم إنه العمـق.. يبقى التنـوع.. يبقى التأثير.. يبقى.. يبقى.. يبقى.. أشياء عديدة لا تستطيع سطور قليلة كهذه أن تمسك بها.

ولكـن هل كانـت آزادوهي تعتقد يومـاً أن الفن لم يعـد طريقاً إلى عقول الناس وقلوبهم، وإننا تحولنا الى بـلاد تسعى لتدريـس فوائد زواج القاصـرات في المناهـج الابتدائيـة، وإغـلاق معاهد الفنون، واستبدال تحايا العلم بأهازيج طائفية، وإن الناس ستنشغل بحكايات الطائفة، وتحـريم مصافحـة المسيحي، بينمـا تنسحب الثقافـة والفـن والعلـوم الى الـوراء، مطاردة بتهمة الخروج على الأعراف والتقاليد.. اليوم آزادوهـي طريحـة الفراش مـن دون أن تنتبه جهـة رسمية لمعانـاة فنانة فتحت أبـواب الفن أمام المرأة العراقية..

"عمة آزادوهي - كما تتمنى ضاحكة أن اقول لهـا - وأنت تصارعـين المرض وحيـدة لا أملك إلا أن أقول لك: أووف شوكت راح نرتاح."